

# الطريد في تجرئة العر الحديث

## بقلم أحمد كندر أحمد

الجواب ، انه سديمي النزعات ، يعيش في رعب وجودي مع نفسه، وامانيه صوت هندية تنهشه الوديان ..  
لقد ساعدت جميع الظروف على خلق شعور التفاهة عنده .. انسان بلا امكانيات ، ولحظة الادراك أفسى مما يستطيع احتمالها .. وقد أدى به هذا الى اليأس . فيجيب ببساطة عندما يسأل عن تجواله :  
وانا أسير ..

لا درب لي ، لا سقف يفرش ظله حولي :  
وكابوس الهجير

رقتاء تبلعني ، تمزقني ، وتنفتني على سأم الرصيف «٣» .  
لماذا يجرجر أفعال خبيثة ؟ الجواب : لانه انتهى الى الاعتقاد بلا جدوى وجوده .. وجوده مضيع في عالم خواء ، وكان فرضا أن يفقد حريته مع فقدان الشعور بامكانياته .. فشعور الذات بامكانياتها هو ما يسمى بالحرية عند « يسيرز » :  
أنا فأر موجه يا أصدقاء  
ملء حجري وحشة ، حقد صديدي وذكرى . «٤»

انه أنموذج الرفضي العربي الذي لم يتلمس طريقه بعد .. انسان ريفي مطلوب على أمره ، ومأسيه أقدار خارجية تسحق فيه النسخ البدائي ، فاذا به مع المجري مهشم القلب ، زين له البهرج فضل .. فرزي كان يعيش في سعادة ، حرا في فلوته .. لكنه لم يستطع مقاومة الاغراء ، والمدينة أفواه شهية .. كوم من النمر لانسان البادية فانساق مع الدعوة التي سماها بومة :

وغزتنا من وراء القيم ، من خلف الافق  
بومة تنمي علينا ان نعيش ،  
في البراري كالوحوش «٥» .

حتى اذا ما تكشف امامه عالم الزيف عن تنين رهيب صرخ بما تبقى لديه من أصالة عميقة الجذور :

آه !! أنفاسي يا رب .. أغت هذا الشقي .  
ان للظروف القاسية التي توطره مكان الصدارة في تفكيره ، فلم يجد الى التحرر منها سبيلا .. انه انسان في الشباك ، والعقائدية حلم لن يصل اليه الا في مرحلة متأخرة يتصبى فيها النضال .. حاول ان يفر فحقد على الوجود ، وكان الحقد الوجه البدائي لرفضه هذا الواقع في محاولة التعبير عن مأسيه .. فهل يرضي الحقد نواذعه ؟ وهل يجديه شيئا ؟

شعري دخان لم نزل ناره لاهنة زرقاء في أضلعي  
نذرته للحقد غنيته على مهب الفتن الاربع



علي كنعان

W. BLAKE : Poems P. 162 «٢»

«٣» قصيدة « الشبح »

«٤» الفأر والغراب .

«٥» أنسام البادية

الطريد «١» : انسان ملقى ، عالاه أضواء ، وايامه ذكرم عنيفة ، أصداء انسحاقات الجبل في مخاض لم يتضح بعد .. فراح يتسكع في نفوسنا كصيفة حضارية شرش فيها واقفنا الرفوض .. وكانت انعكاسات الشمرية حادة في نغم الشعر الحديث ، متخذة شكل مأساة ، وعنفسا دراميا جعل من الجبل أناسا عجافا يهتزون لدى تحدثهم .. أناسا فقدوا أترانهم ..

لقد فر الواعون .. الشعور الحاد ، ورفض الواقع أديا الى موقف ضبابي مضيع ، فجاء الطريد انسانا موزع النفس ، له ذوات عدة ، واتجاهات متباينة لا يتلمس مسالكها الا وهما يوحي له بالخيبة .. انه انسان بلا وجه ، انسان بعيون باطنية مشاكسة فلا يستقر على رأي .. هذه مأساة الجبل : الحيرة بين قيود الماضي ، وانطلاقات الحاضر . وما دام حاضرنا مخاضا ، والماضي موضوعا في نلاجة كان لابد من الحركة .. لكن الحلبة صغيرة ، والمتسابقون يدورون حتى « الدوخة » .. انهم محور صراع هم ضحيته ..

افاق الجبل من خدر القرون الماضية على ضربات نحاسية ملتفتنا حواليه .. ان ضبابية الماضي لم تستطع ان تحجب عنه مستنقع الحاضر . وأسن النظر فيما يحيط به فماذا وجد ؟ أخلاق العمامة تطرح ارضسا ، والجيل بدء خلق جديد ، شهود عصر محتضر ، والشباب أجهضهم مزج حضارتين لم يتجانس بعد ، مزيج يود من العجوز مضاجعة الشاب .. عجوز متصابية مبلغ مهما أن تستعيد في لحظة ذكرى سالف ايامها ، وأب فوار الدم يريد ما يتابع مياه كبريتية .. كلاهما يود من الاخر شيئا مفقودا ..

قلة أولئك الذين تخطوا العتمة ، في حين بقي الاخرون في دوامة تلتفتون حواليتهم مشدوهين .. التوابيت الحجرية ، والقبور الدكنساء تتوسط حديقة الحب ، حيث كان يجب أن تنمو الزهور .. ولعل أحد سكنين تتسلى بقلب الانسان .. سكنين الذكر وخيبة الامل .. كان صراع الطريد قصيدة رمزية لشاعر انجليزي :

ذهبت الى حديقة الحب  
ورأيت ما لم أشاهده من جبل قط :  
كنيسة صغيرة مبنية في الوسط ،  
حيث اعتدت أن ألهو فو العشب  
أبواب هذه الكنيسة كانت مغلقة  
وعلى الابواب مكتوب « ممنوع الدخول »  
وهكذا استدرت الى حديقة الحب  
التي تحمل كثيرا من الزهور الجميلة  
لكنني رأيتها ملأى بالقبور ،  
والتوابيت الحجرية حيث يجب أن تكون الورود  
ورهبان في حلل سوداء يتجولون  
ويلغون بالأشواك أفرأحي وأمالي .. «٢» .

لو سئل الطريد عن وجهته ، والمكان الذي جاء منه لما استطاع

«١» دراسة حول الديوان المخطوط لملي كنعان « أنسام الواحة

الضائعة » .

فالحقد ذئب طيب جالس  
لم يجده الحقد .. فراح يتطلع الى شعبات طريقه ، مشعلا سراجا  
خافت الضوء في سراديب نفسه ..

انه تافه !! هكذا انتهى الى الاعتقاد ، غير انه سميتخطى هذه  
المرحلة .. لا بد له من فقرة .. في احدى المرات حاولت ضفدعة ان  
تفاخر الثور ، وان يريه انه ليس اسد منها كبيرا وعظمة فنفتحت جلدھا  
وما فتئت تزيده اتساعا حتى قضت ..

الضفدعة طريد تافه يحب ان يتعلمق ، ان يدعي ما ليس فيه،  
والحزن نعم جنازتي يسير على توقعاته فكان أئينه التفجعي :

اذكري أسطورة الضفدع والثور ، اذكريني

ما أنا الا بقايا ضفدعة !

طلبا حاولت جهدي ..

في ذرى عالمك الوحش الالذ

ان اراني ،

ادعي ما ليس لي

أنفخ جلدي ! «٧»

الصفة المميزة للطريد انه يعي ما يفعله .. انه على دراية تامة بما  
يجري حوله .. من أين جاء؟ يستطيع ان يقول :

من أين ؟ اذري ، ولا اين المصير !

طفل بدون اسم ، بلا حس ، بلا وجه يسير .

الطريد يسير .. هل لنا ان نتساءل عما يريد ؟ نستبق الجواب  
مستقرئين خط سيره فتجيب : انه لا يدري ويدري انه لا يدري ..

ماذا تريد ؟

— أنا ؟ ما أنا حتى اريد ؟!

يا سيدي ، لا شيء ، لا ادري ،

أفتش عن صديق

حي ، وأين الحي ؟ أبحث عن طريق

عن منفذ لافر من هذا الحريق ..

لقد سيطر عليه شعور التفاهة ، ولن يتأني له الخلاص منه بسهولة  
.. سيمعق تجاربه كثيرا قبل النجاة .. لكن عدة رواسب ستظل عالقة

بنفسه كما سترى .. ونظرة الى واقعنا تجعلنا على شبه يقين بان حالة  
الطريد هذه ظلال باهتة لما يعاينه ..

المهزومون جبل عربي عزل عن قضيته في السنوات الاخيرة، ذوو  
شعور حاد بالواقع .. والطريد كما أسلفنا أنموذج العربي الذي لم

يتلمس طريقه بعد رغم احساسه الرافض لما يحياه .. والرفض يبقى  
شعورا ثوريا فاصرا ما لم يتوجه الالتزام ويحدد معالم الطريق .. اذ لا

يكفي الثورة على الواقع والتشكر لمعطياته ، ما لم تصدر في هذا عن عقيدة  
بينه العالم ثورية الفكرة والاسلوب .. وهكذا كان رفضيا غريبا بين

الاخرين .. ذاتا متلججة ، مشاولة الاطراف :

ولكن كنت بينكم

غريبا ، ضائعا عنكم وعن ذاتي

أراكم في الضحى موتي

وما أتم بأموات

وتحت الليل ابطلا

ولكن دون أصوات

فأبصتكم وأغرق في خيالاتي .. «٨»

ويتمطى شعوره بالفربة داخل نفسه حتى درجة النواح فيئن :

أصغح الالاف من هذا الجراد المستطير

لا عين ترمقني بحقد أو حسان

لا كف توقظني ، تمد لي التحية ، لا لسان

لا نغر يبسم من صميم القلب لي .. «٩»  
هزمت الظروف المحيطة به ففرق في الاحلام .. والرؤيا احدى  
سمات الديوان البارزة ، أو بعبارة أخرى الهروب ديدن الطريد المسحوق  
.. انه عنيف بتأله ، مرير الصراخ :

وقلبي لم يتح لي جرحه يوما لتحريره

وددت لو أن ما فيه من الذكرى

تموت فدى هنيئات من الاتي ..

وأية هنيئات يعني ؟ ان كانت امتدادا لمعطيات واقعه فالى الشيطان  
رؤياه .. لقد عاش فوق دفة وسط البحر تتقاذفه الامواج ، قلقا لا قدرة  
له على توجيهها .. اذن كان لراما عليه أن يقول :

تموت فدى هنيئات من الاتي

كما أهوى ، كما اختار .. أحيائها .. «١٠»

أمانيه تلف بالاشواك ، والقبور الدكناء حيث اعستاد ان يلهو في  
حديقة الحب .. ولكن هل يبغى حيث هو ؟ هنا كان الطريد عند علي

كنعان متسائلا ملحا في هروبية واضحة نحو الاحلام ، فهو يبحث عن  
الغريب المجهول عن « منفذ من الحريق » دون اتخاذ اية خطوة فعلية ..

ولعل هذا راجع كما المعنا الى الاعتقاد بلا جدوى العمل ، والركون الى  
هذا الرأي .. فكان صراخه ومحاولاته اتين ناي فوق كتف السواديلا

يلبت ان يضع صده ، وفي الجو تحلق طائرة مزعجة الهدير ، والشلال  
ينصب بعنف ، والعاذف يعي كل هذه الاشياء مذهولا ..

ثم أخذ الطريد يجمع معطيات الحاضر بواعيته صورا فوتوغرافية  
تثن على شفثيه .. كان حزينا بهدوء، والحزن هو الخيط اللامرئي الذي

ينظم قصائد الديوان .

في هذه المرحلة يتابع الطريد النقاط الصور .. الريفي في قريته  
وفي المدينة ، ممايشأ تجربة أزمه روحية يعيشها بدوي «انسام البادية»

فينقلها اليها بصور وديعة بما فيها من انفعالات واحاسيس .. لكن القروي  
أكثر ما يستائر باهتمامه فيصور الحاصدين .. الكتل الباحثة عن رفيف

يباس تقمسه بحبات العرق وبما علق على المناجل من قطرات دم مستباح:  
وعلى الرصيف

صور مشوهة حزينة

كتل من اللحم الطري .. تمش تحلم بالرفيف ..

ولكن من هذه الكتل مأساة تحياها ، ونوعية من الحياة كان لا بد  
من الجهاد ضمن اطرها .. الاب وقد عدت عليه السنون والام التي تركت

ابناءها سعيا وراء الرفيف ، والصبية السمراء المشلوحه في أزقتنا تحلم  
بالعريس وجواد الحلم الاشهب ..

كل هذه صور تلتقطها واعيته ، وبداية اهتمامه بمشاكل الاخرين  
انطلاقة نحو الثورة والالتزام العفاندي .. ان من يتحسس الام الرفاق

ويمتلك القدرة على مشاركتهم وجدانيا عواطفهم لهو الطليعة الجماهيرية  
بنظر الثوريين فيناديهم بمحبة :

يا أصدقاء

هبوا فقد أزف المساء

ليل المدينة طيب يا اخوتي

يندى ويفتح ساعديه ، رافة للاشقياء

حتى سماء الليل في عليائها ، حتى السماء

بدموعها الازلية المتجمدة

ما بين اهداب الدجى .

غير أن مرحلته هذه تختلط بالمرحلة السديمية .. ولا يزال في نفسه  
نزوع قوي نحوها ، او رسوبات لا يجد الى الفكاه منها سبيلا ، والقوى

الخارجية التي كان يتصور انها تسحقه ما تزال وفيه لمهودها ، فكيف  
يرى السماء صديقا عطوفا على الأبرياء ؟ انها لحظة لا ينسى ان يقول

بعسها :

«٩» الشيخ

«١٠» هروب

«٦» الفنان والتماثيل

«٧» أسطورة الضفدع والثور .

«٨» هروب أو أشباح الهزيمة

لكمها سرعان ما تنسى اذا عاد الصباح  
فتدوب ادمعها وورشفها الضياء  
وتمل غيرتها العيون المجهدة .. «١١»

انه يخل صلبياً فرض عليه ، ومشاركته الوجدانية للام الاخرين  
لا تنفذه من سد يمينته ، والاعتقاد بانه تافه لا جدوى منه .. وخلال  
تجاربه هذه وهو يستقريء ما يحيط به لا يتخلص منها .. بل يحاول  
ان يسبغ ما بنفسه على الاخرين .. انسان مزور بالاكراه ، ويأسى  
للاخرين ظاناً انهم مثله مزورون ايضا .. فيصيح في ياس :

يا اخوتي

لا تغفروا من رؤيتي

انا متلكم .. شيء بلا معنى صريح

وجهي بلا هدف ، وايماني جريح

لا رب لي

لا شغل ، لا مأوى ، ولا حتى صريح .

حتى الرب ذبحه على هيكل رفضه ابان مرحلسته تلك .. الرب  
القاسي الذي لم ينقذ القطعان العديدة من الصبايا والشباب ، وعبر  
نداءاته في وفقته التأملية قال انه يبحث عن صديق حي .. عن منقذ ،  
وتلمس اليه السبل .. كان انسانا تسيره الاهداف ، يعيش في دوامة  
.. على أرضنا تدور احداث خطيرة ، وهذه الاحداث تؤثر عليه لاشعوريا  
.. ما دام يؤمن بالاخلاص الشعري والتجربة الحية .. والمعاناة ايقاع  
الحس الصادق عندما نحاول وعي ذواتنا .. وقد كانت وما تزال نقطة  
البدء الثورية في حياة الجيل ، وتم مذاهب شتى تحصر المعاناة طي اطر  
مثلجة .. ولكن مدارها والمحور الذي يستقطب جميع ابعادها لا يعدو  
الحس الصادق ، والمشاركة الوجدانية للمحيطين به .. انسها بعبارة  
مختصرة تجربة لا تقبل الزيف ..

حاول خلال سديميته ان يبحث عن طرق اخرى كان اولها تحسس  
الام الاخرين ، ولكن الاخلاص جعله يتخطى مرحلته هذه ويفذ السير  
لتصميمها .. الرفض شعور ثوري قاصر ما لم يتوجه الالتزام المعنادي،  
والشاعر ملتزم ما دام لديه الحس الصادق المتجاوب مع معطيات الاحداث،  
فيصعد انفعاله الانبيء الى ازمة تملك عليه حواسه فلا يجد  
مندوحة من اظهارها بالشكل الفني الذي يروقه .. وطريق هذا المعان  
النظر ، تلمس الاشياء عن قرب .. المعاناة الحقيقية للحادث فيحييه  
بكلية ، بكل ذرة احساس وانفاضة عصب .. وهل احلى واصدق من  
معاناة الشاعر وقد راح يتصور ان في نفسه تتمثل الام رجال الانسانية  
على مر العصور ؟! لقد عبر مع موسى اليم وذاق احوال الصحراء ، وفي  
جيبه ندوب لم تمح منذ صلب المسيح الى اخر ما هنالك من عظام  
كانوا للبشرية قيس خير وبلسم عزاء .. لنستمع اليه :

وبجوف الحوت قاسيت الدجى ، ذقت الهوان

مثلوا بي ، واشتفوا يوم حنين

وطوت باقي رفائي كربلاء

قبل ان اسطيع دفع السيف عن صدر الحسين

ومسامير الصليب

لم تزل اتارها في جبهتي والمصمين .. «١٢»

وتتخذ المعاناة اداة للتعبير عند الشاعر الرمز .. وأول هذه الرموز  
القرية ، وهي عند الشاعر تمثل براءته الاولى ، ووجهه البدائي الذي لم  
يزور ، فلا يمل التنفي بهذا الوجه ما سار بين الناس مفتوح العين .. منذ  
البدائية كان يتسمى القرية ، ويتطلع اليها دوما بالرغم من رفضه لاجوائها  
حينذاك حيث يقول :

وكنا نلتقي في مسجد القرية

لنكتشف عن نوايانا

هي الاعمال بالنيه

وتندب ربنا في كل يوم . خمس مرات  
الى ان يقول :

سئمت ، كرهت وطانها على صدري .

وتجربة الريفي النازح الى المدن الكبيرة لها في شعرنا الحديث  
ضرب من الانغام الجنائزية ، هي الى وداعة الصوفيين اقرب منها الى  
أي شيء اخر .. وهنا يلتقي الشاعر باحمد عبد المعطي حجازي وبدر  
شاكر السياب . فالحنين الى الريف عند كل منهم جارف لا تقاومه  
رغبة .. وهذا الحنين عند حجازي نتيجة القلق الذي يشعر به ، وتعبير  
عن حلمه بالاستقرار كما يقول رجاء النقاش . ولكن في حين رأى طريقة  
الخلاص في الفن كان علي كتمان أشد ميلا للعمل السياسي في صف  
واحد مع الجماهير .. فراح يتصور نفسه دائما مع مجموعة هي هو  
وبالنالي لا يستطيع الا ان يعبر عما تحسه .. ففي « المحنة وصكوك  
الفخران » « ١٣ » يرفض معطيات واقع كان مرفقا لانطلاقات الجيل  
الثورية ، وموقفه هذا كان زبدا انفصاله السديمي في البداية .. ثم لا  
يلبث بعد هذا ان يعلن تضامنه مع الجماهير :

لك مني وعد العروبة يا شعبي متى غسل الكرم

سأسقي النجوم نخب انتصارك

انا منهم برئت يا أرض سديني الى صدرك الغني الحاني

واقذفي اذني بهم في فرارك .

أو يقول :

نحن عدنا من الدرى نهدا التاريخ طفلا في واحة عربية

نحن يا أم .. نحن أغلى صفارك

فالجماهير والمدى يعربي الجرح والثأر يعربي الاغاني ..

وللنفس الحزين الخافت في نفس الشاعر جذور منها ما يمتد الى  
ماضيه موغلا في آسيائه الذاتية المحضة .. غير ان هذا الجزء لا يقوم

«١٣» قصيدة للشاعر نشرت مؤخرا في «الاداب» .

في المكتبات

# مع الإمام علي

من خلال «نهج البلاغة»

دراسة مستفيضة عن عبقرية الامام علي  
كسياسي وحكيم من خلال خطبه ورسائله التي  
يتضمنها كتابه الخالد « نهج البلاغة »

تأليف

خليل الهنداوي

منشورات

دار الاداب

الثلث ٢٥٠ ق.ل

«١١» ظلال الغيوم

«١٢» في ليلة الميلاد

التجربة لدى الشاعر ، وتسلمنا الى منطقة الوحي والظلال البدائية في لحظة تعرية الوجوه مما يشوبها للانطلاق مع الشاعر ومواكبته في مهاداته عبر هذه الظلال ..

الجذب يقتل انساننا ، والقرية تشكو .. تبتهل لاله ما زال من أيد حسيا في نفوس السطاء .. لبعث ما فهم يوما الا على انه الخصب المتفتح .. محاصيل مثقلة بالغطاء ونساء حبالى في شهرهن التاسع .. ولعلنا لا نعدو الحقيقة حين نقول ان الدعوة الى الاصاله والبراءة،ومعس الزهور المصطنعة .. بالرجوع الى الخقل حيث الزنابق البيضاء .. حيث الندى الحيي .. حيث قلب الحياة نابض أبدا :

خاطري يهفو الى الخقل :

فراش الشمس ، حمام النجوم الساهره

ومراح الاخيلة ..

الدعوة الى هذه البراءة محراب الشاعر الذي لا يفتأ يحرق في مجارمه بخوره .. وقد استقطبت هذه التجربة كثيرا من شعرائنا المحدثين .. غير ان احدا منهم لم يرتفع بها الى المستوى المأساوي الحضاري مثل بدر شاكر السياب الذي كانت قصيدته « مدينة بلا مطر » احلى من دفقة المطر وهي توشوش ذابل الازهار:

وفي أيد من الاصفاء بين الرعد والرعد

سمعنا : لا حفيف النخل تحت العارض السحاح

او ما وشوشته الريح حيث ابتلت الادواح ،

ولكن خفقة الاقدام والايدي

وكركرة و « آه » صغيرة قبضت بيمنها

على قمر يرفرف كالغراشة ، او على نجمة ..

على هبة من الغيمة ،

على رعشات ماء ، قطرة همست بها نسمه

لنعلم ان بابل سوف تغسل من خطاياها .. « ١٥ »

\*\*\*

بعد استعراضنا لما توحى به رموز الشاعر لا بد لنا من تسجيل ميزة له تستحق الاعجاب ، وهي انه لا يقف عند حدود الرمز الاول وانما يكسبه الحياة والحركة عن طريق ربطه اياه بتجارب ذاتية تعطيه ثقل الوجود وكثافته .. وهذا ما جعلنا نحس اننا نقول بقلوبنا ما كتبه الشاعر في « اغنية العودة » وشمشون من جديد والفار والغراب .. الخ بعبارة اخرى لم نحس التصنع فيما يكتبه . ولعله وهو يكتب كان يتطلع الى قول جون كيتس : « خير للشعر الا يوجد ان لم يات طبيعيا كقدوم الاوراق الى الاشجار » . فالرمز مقضي عليه بالموت ما دام احد المعميات، بورجوازيا له أنفة المنفوخين ، وعظمة الجهلاء .. الرمز بهذا المعنى انسان بلا قلب ، ولا اخصب في تجريره الشعر من رمز بقلب . فلقاء الحبيبة انهمار المطر ، وهجرها جفاف .

أزمة التكوين الحادة ، واضطرعنا مع قوى نذب معها في الشارع مضيق لحظة جفاف .. لحظة عقم .. وهكذا رحنا نحس بالبساطة التي يتكلم بها الشاعر ، دون اللجوء الى الانفعالات الهوجاء ما عدا بعض القصائد .. انه هاديء وديع يتحدث الينا همسا .. وما أعمق الهمسات في أجواء يسبتر عليها ارهاب من نوع ما .. سواء كان ارهابا كونيا من قبل الله يمنع انهمار المطر او ارهابا أسود من أي نوع يشعر الانسان معه انه فأر .. جرد حقير شرش في أدمغة الصمت ، وأزفة القسم المتفسخة :

ها أنا ما زلت فأرا جائعا يا أصدقاء

لاطيا تحت الدجى القاسي

وفي جوف الدهاليز اللمينه

أتلوى ، أقرض العتمة

أمناح الاسى ، أدمي سكونه

عني أحظي بسرداب الى بيت مؤونة .

« ١٥ » السياب : أنشودة المطر ص ١٧٧ .

بذاته ، انه منفعل فاقد لفعاليتها ولا يقبل الوجود الا من غيره .. وقد كان هذا الوجود الفيري ذو الفعالية الكبرى ، والفوران الملحمي وجسه آمنه وما يتقل ضميرها من الام تنعكس على نفس شاعر يعايش بيئته كهذه سواء كان عمله اثباتا وعي ، او مجرد انعكاسات لاشعورية .. فرؤى الماضي دوما تطارد الشاعر .. وللذكرى في نفسه الام يصعب عليه ازديادها .. ونكبات الامة كانت اكبر مثير لشجونه هذه . فخيبة املها نغم في سيمفونيته الذاتية .. كلنا مضيعون .. والغريب في مذهب الفرياء اخ .. ونكبتنا الكبرى عام ١٩٤٨ كانت وما تزال المنكبوت اللزج الذي لا يتركنا لاحلامنا برهة حتى يأخذ في الدبيب على أعيننا .. شيء مرعب .. كربه ، لكنه واقع :

الريح في الوادي تولول : والعدال

حطت - وأين الظل !؟ تشكو للردى مأساتها

« الفجر كان لنا ، وميعاد النسيمات الصديقه

كانت لنا تلك الحديقه

يافا .. وأشرعة يضاحتها المدى

فتئن ذاهلة كان وراء أنها العدا

بيضاء أو خضراء أو حمراء خافقة السنا

كانت لنا ، كانت لنا

كانت بما فيها ، وكان لنا

في ظلها المطار اجنحة طليقة « ١٤ » .

كانت لنا تلك الحديقه ولكن : « آه ما أقسى رؤى الماضي » . كل شيء يذكرنا بالمأساة .. والذكريات شجون ما أمر مذاقها .. العنف يجتاحنا بيروء ، والسكاكين تعمل في أجسامنا ولكن بيروء .. هذه موروثات جيل أفاق من خدر الماضي على ضربات نحاسية ليردد مأخوذا كنت وكان لي ..

مرة اخرى يعود الى اذهاننا وليم بليك .. التوايبت الحجرية وانتبور تملأ حديقه الحب حيث كان يجب ان تكون الزهور والزنابق البيضاء .. ان في اعماق الشاعر رجلا كئيبا يعلن عن ذاته لدى كل سانحة .. ولعل في هذا ما يعيدنا الى مرحلة الطريد السديمية .. المأساة تغافنا .. وخلف هذه الزريبة بصرنا كليل .. غير ان الشاعر كما نوهنا لم يقف عند هذه المرحلة .. ولو أتيج لوليم بليك ان يرسم لنا طريق الخلاص لما تعدى قوله البحث عن نبي جديد ، عن بعث يحيي في نفوسنا الموات .. لقد كنا .. ونحن الان نتصبى بطلا خصب الحيا .. نبوءة تبعث من جديد أو كما قال علي :

أسطورة البطل الذي ضحى

ويبعث كالنبوءة من جديد

وعبر هذه الاطلالة على واقفنا العربي يتشعب رمز القرية عنده ليصبح نموذجا مصغرا لوطنه الكبير ، ويحيا تجربة الامة من خلال القرية ومن خلال هذا النموذج .. ونستطيع بناء على هذه النظرة ان نعيد النظر في كل ما جاء على لسانه حول القرية . فالجذب والمطر كما حدثنا عنهما محاولة ابداعية استطاعت ان تعمق في نفوسنا الشعور بخصب

« ١٤ » شمشون من جديد .

## مكتبة عبد القيوم

زوروا مكتبة عبد القيوم ببورتسودان تجدوا

أحدث المطبوعات العربية ، وكذلك مجلة

الاداب البيروتية ومنشورات دار الاداب .

## سلسلة المسرحيات العالمية

سلسلة جديدة تقدم فيها دار الاداب مجموعة رائعة من اشهر المسرحيات العالمية التي وضعها كبار كتاب المسرح

صدر منها :

### ١ - البغي الفاضلة وموتى بلا قبور

بقلم جان بول سارتر

ترجمة الدكتور سهيل ادريس والحامي جلال مطرجي

الثنى ٢٠٠ ق.ل

### ٢ - ماريانا

تأليف فديريكو غارسيا لوركا  
ترجمة شاكر مصطفى

الثنى ٢٠٠ ق.ل

### ٣ - هيروشيفا حبيبي

تأليف مرغريت دورا  
ترجمة الدكتور سهيل ادريس

الثنى ٢٠٠ ق.ل

### ٤ - لكل حقيقته

تأليف لويجي بيراندللو  
ترجمة جورج غرابيشي

الثنى ٢٠٠ ق.ل

### ٥ - تمت اللعبة

تأليف جان بول سارتر  
ترجمة مجاهد ع. مجاهد

الثنى ٢٠٠ ق.ل

## منشورات دار الاداب - بيروت

يقع لنا ان نتساءل بعد هذه الرحلة مع افكار الشاعر وصوره عن مدى توفيقه في عرض هذه الافكار .. وأبادر الى القول انه كان موفقا اغلب الاحيان ، واستطاع ان يعمق في نفوسنا الايمان بأسلوبه الشعري، وشخصيته المتميزة في طريقة التعبير .. ولعل في هذا أقوى دليل على صدق تجربته وإخلاصه الشعري .. غير ان الشاعر معجب بفنائه ، وكلماته الرومنسية . ولعله في هذا أشد إعجابا بفنائه من أم كلثوم بصوتها وتكرارها الملل .. فكما لا ترحم احدا من نعم يكرر حتى يفقد محتواه يطيل الشاعر حتى يجعلنا نتمنى انتهاء القصيدة .. ان التركيز الفني اشد ما يحتاج اليه الشاعر والافتقار اليه عاد على قصاده بما سوى شتى .. انه يلقي القارئ في اسبابه احيانا وبالتالي يحرمه متعة البحث، ومعاودة النظر في القصيدة .. وقد انعكست الآثار السيئة للإسهاب على قصيدته الجيدة « هروب » فأفقدتها كثيرا من جماليتها خاصة تلك النهاية القلقة عن تدمير وماضيها ، حتى انه ليصح ان نقول لقد جاءت النهاية قصيدة قائمة بذاتها ، ولو حذفنا ما ازدادت القصيدة الا جودة ، وكثيرا ما أدى به الاسهاب الى الثرية السمجة مما حال بين بعض قصائده وبين نفوس القراء . وحيدا لو سعى الشاعر الى التخلص من هذا العيب الشعري ، وعمل جاهدا على تدعيم تماسك قصيدته ، وتكامل وحدتها العضوية ..

ثمة ملاحظة اخرى وهي ان الشاعر كان منسافا في بعض الاحيان لتدريج الفاظ لا معنى لها .

لقد انتشرت موجة الغثبان بعد ان قذف بها وجوديو فرنسا ، وعلقتنا بأذيالها علنا ندخل محراب الفن عن طريقها ، حتى باتت سمجة لا تثر في النفس شيئا لكثرة ما ابتذلت في الشعر والقصة . وكنا نربأ بانشاعر أن يتعلق هو الآخر بأذيالها في قصيدة مطولة هي « أسطورة الضفدع والثور » . بل ان هذه الكلمات تكاد تفقد كل ما في الشعر من جمالية :

اتركيني

فرقت نفسي ، اشمازت

عفن الكهف وفيء الأقبية

افتح الباب : أضمت الخاتم السحري عند القنطرة

ونسيت الاحجية .

ناهيك بما في هذه الالفاظ من تقريرة مستقيحة . ويبدو ان الشاعر يولي القصائد الغنائية المحضة اهتماما زائدا فأفرد لها في الديوان قسما خاصا .. وهي تمتاز بصورة عامة بعنونة كلماتها وسلاسة لحنها . ولكن ! هل لي أن أقول للاخ الشاعر ان هذا الضرب من الانغام لا مستقبل له ، وان الرومانسية التي أفاها شعراؤنا عجزنا وتكرارا حتى بشمت منها نفوسنا سينكرها غد الشاعر .. ان قارئ الديوان لا بد ذاكر ردحا من الزمن الفأر والغراب واغنية العودة وشمشون من جديد وأنسام البادية .. لكنه لن يذكر « المسافر والسراب ، وأغانيك الجبلية » رغم انه قد يسر لدى قراءتها وتدخل على نفسه المتعة !!

\*\*\*

تعقيب :

كسبت هذه الدراسة منذ عدة اشهر ظهر خلالها عدة قصائد للشاعر « كميلاد نسر وكلمات في اخر الليل » . ويتبني لي ان اشير الى انه قد تخلص من منظم ما كان يعوق انطلاقة الشعرية . فنحن في هاتين القصيدتين الرائعتين أمام قدرة فائقة على التركيز الفني وخلق الوحدة العضوية للقصيدة ، خاصة في « كلمات في اخر الليل » بمقاطعها الثلاثة ، ولا يفض من قيمتها اقتراح الدكتور احمد كمال زكي بان يسقط منها المقطع الأخير ، واعتقد انه لو تبصر في القصيدة جيدا لما تورط في مثل هذا الرأي .. وقد يكون لنا عودة نحلل فيها رموز القصيدة الخصة ..

أحمد أسكندر أحمد

جامعة القاهرة